

## جهود الإمام عبد الحميد ابن باديس في الإصلاح التربوي والتعليمي

إعداد الطالب:

زريق مولود زريق أبوطلاق.

تحت إشراف:

د/حسين عبده حسين  
مدرس بقسم الفلسفة  
كلية البنات - جامعة عين شمس

أ.د/كوكب محمد مصطفى  
أستاذ متفرغ بقسم الفلسفة  
كلية البنات - جامعة عين شمس

## مقدمة:

يهتم هذا البحث بإبراز جهود الإمام عبد الحميد بن باديس في إصلاح التعليم في الجزائر. إذ كانت الجزائر من أوائل أقطار العالم العربي وقوعاً تحت براثن الاحتلال الاستعماري سنة ١٨٣٠م، وقدر أن يكون مغتصبها الاستعمار الفرنسي من أقسى المحتلين سلوكاً واتجاهاً، حيث استهدف طمس هوية الجزائر ودمجها باعتبارها جزءاً من فرنسا، ولم يترك وسيلة تمكنه من تحقيق هذا الغرض إلا اتبعها، فتعددت وسائله، وإن جمعها هدف واحد، هو هدم عقيدة الأمة، وإماتة روح الجهاد فيها، وإفساد أخلاقها، وإقامة فواصل بينها وبين هويتها وثقافتها وتراثها، بمحاربة اللغة العربية وإحلال الفرنسية محلها، لتكون لغة التعليم والثقافة والتعامل بين الناس. كما يهدف البحث إلى توضيح أن الأمة الجزائرية لم تستسلم لهذه المخططات، فقاومت بكل ما تملك، ودافعت بما توفر لديها من إمكانيات، وكانت معركة الدفاع عن الهوية واللسان العربي أشد قوة وأعظم تحدياً من معارك الحرب والقتال، وقد عبّر الإمام ابن باديس، عن إصرار أمته وتحديها لمحاولات فرنسا بقوله: "إن الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصبح فرنسا، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا لو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها وعصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدد معين هو الوطن الجزائري"<sup>(٢٨)</sup>.

أمن ابن باديس بأن العمل الأول لمقاومة الاحتلال الفرنسي هو التعليم، وهي الدعوة التي حمل لواءها الشيخ محمد عبده "ت ١٩٠٥م"، في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وعمل ابن باديس على نشر التعليم، والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى، ومقاومة الزيف والخرافات، ومحاربة الطرق الصوفية الضالة التي عاونت المستعمر. ويُعد الجانب التعليمي والتربوي من أبرز مساهمات ابن باديس. وهذا ما يهتم البحث بتوضيحه.

وترجع أهمية هذا البحث أيضاً إلى توضيح أن الإمام عبد الحميد بن باديس مفكر بصير ومصلح خبير ومرب حكيم أدرك بنفاذ بصيرته منذ بداية نشاطه الإصلاحى أن لا حياة للأمة الجزائرية إلا بإعادة بناء منظومتها الفكرية والتربوية وفق المنهج الذي ارتضاه لها مستوحياً من ثوابتها الثلاثة: الإسلام والعروبة والوطن.

هذا إلى جانب أن من الأسباب الرئيسية الذي دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما قاله عنه رفيق دربه في الإصلاح الشيخ البشير الإبراهيمي "ت ١٩٦٥م" عندما قال: "الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان والشهادة التي تؤذيها لوجه الحق حتى رجال الاستعمار، هي أن أول صيحة ارتفعت بحرية الجزائر كانت من لاهة عبد الحميد ابن باديس ولسانه، وأن أول صخرة وضعت في أساس نهضة الجزائر بجميع فروعها... إنما وضعتها يده"<sup>(١)</sup>.

وقد استخدمت في هذا البحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي. إذ أن طبيعة الموضوع تتحكم إلى حد بعيد في نوع المنهج المتبع. فكان استخدامي للمنهج التاريخي حينما تعرضت للحديث عن العصر الذي عاش فيه "ابن باديس" وحياته بقصد معرفة العوامل التي أثرت في فكره، واستخدمت إلى جانب ذلك المنهج التحليلي وذلك حينما تعلق الأمر بدراسة أفكار "ابن باديس" وتحليلها.

وقد تناول هذا البحث الحديث عن النقاط الآتية:—

أولاً— نشأته.

ثانياً— التعليم في عهد ابن باديس.

ثالثاً— ابن باديس وإصلاح المناهج التعليمية.

رابعاً— دور ابن باديس في إصلاح التعليم بالجزائر.

(٢٨) ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية - الجزائر، ٢٠٠٥م، ج ٥، ص ٣٤٣ - ٣٤٤، وص ٢٨٢.

(١) آثار الشيخ البشير الإبراهيمي، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ١٩٨٥م، ج ٤، ص ٣٣٦.

**أولاً- نشأته<sup>(١)</sup>.**

ولد الإمام عبد الحميد ابن باديس بقسنطينة سنة ١٨٨٩م، وسط أسرة من أكبر الأسر القسنطينية، مشهورة بالعلم والفضل والثراء والجاه، عريقة في التاريخ، يمتد نسبها إلى المعز بن باديس الصنهاجي مؤسس الدولة الصنهاجية، وقد أتم حفظ القرآن الكريم في أول مراحل تعلمه بقسنطينة في السنة الثالثة عشر من عمره، على يد الشيخ "محمد المذاسي" وقدم لصلاة التراويح بالناس على صغره، وأخذ مبادئ العربية ومبادئ الإسلام على يد شيخه "حمدان الويسي"، وقد أثر فيه القرآن الكريم وهز كيانه ليكرس فيه بعد ذلك ربع قرن من حياته في محاولة إرجاع الأمة الجزائرية إلى منابع الأولى للإسلام. وفي سنة ١٩٠٨م التحق بجامعة الزيتونة بتونس، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأفاضل، وفي ظليعتهم زعيم النهضة الفكرية والإصلاحية العلامة "محمد النخلي القيرواني" ت ١٩٢٣م، والشيخ "محمد الطاهر بن عاشور" ت ١٩٧٣م، و"البشير صفر" وغيرهما، وقد سمحت له هذه الفترة بالإطلاع على العلوم الحديثة وعلى ما يجري في البلدان العربية والإسلامية من إصلاحات دينية وسياسية، في مصر وفي الشام وغيرهم، مما كان لهذا المحيط العلمي والبيئة الاجتماعية، والملازمات المستمرة لرجال العلم والإصلاح الأثر البالغ في تكوين شخصيته ومنهجه في الحياة. وبعد تخرجه وحصوله على شهادة التطويق ١٩١٢م. عاد من تونس إلى الجزائر متأهباً بطموح قوي للتفرغ للتدريس الممثل في بدايته بعقد حلقات دراسية بالجامع الكبير، غير أن صعوبات واجهته في بداية نشاطه العلمي حالت دون تحقيق طموحه وآماله، وبعد طول تأمل رأى من المفيد تزامناً مع موسم الحج أن يؤدي الفريضة مغتتماً الفرصة في رحلته للاتصال بجماعة العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، الأمر الذي يسمح له بالاحتكاك المباشر وتبادل الرأي معهم، والتعرف على مواقع الفكر الإصلاحي، فضلاً عن الإطلاع على حقيقة الأوضاع الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة في المشرق العربي. وفي أثناء تواجده بالحجاز حضر دروس العلماء من مختلف البلدان الوافدين إلى هذه البقاع المقدسة كالشيخ السلفي "حسين الهندي" الذي نصحه بالعودة إلى بلاده لاحتياجها إلى علمه وفكره، وقد حظي بلقاء دروس بالمسجد النبوي من بعض الشيوخ الذين كانوا يعرفون مستواه، وقد تعرف على الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"، وقد استفاد الإمام عبد الحميد ابن باديس من التيارات الفكرية ومدارس الإصلاح الديني بالمشرق التي ظهرت في العالم الإسلامي على يد الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" ت ١٧٩١م، والإمام "محمد عبده" ت ١٩٠٥م "والسيد "محمد رشيد رضا" ت ١٩٣٥م، وغيرهم، وبعد عودته إلى قسنطينة ١٩١٣م ساهم في بلورة الفكر الإصلاحي ميدانياً وتطبيق مناهجه التربوية عملياً، ساعده زملاؤه الأفاضل من العلماء الذين شدوا عضده وقوّوا زنده، فكان تعاونهم معه دافعاً قوياً وعاملاً في انتشار دعوته، ومن أمثال هؤلاء الذين أزروه وساندوه الشيخ "العربي التبسي"، والشيخ "محمد البشير الإبراهيمي"، والشيخ "الطيب العقبي"، وغيرهم<sup>(٢)</sup>، كما ساعده أيضاً الواقع الذي كانت تمر به الجزائر بين الحربين العالميتين.

وبعد أن عرضنا سريعا لحياة الإمام سنتعرف الآن على جهوده في الإصلاح التربوي والتعليمي.

**ثانياً- التعليم في عهد ابن باديس.**

لقد أدركت السلطات الاستعمارية الفرنسية، أن وجودها في الجزائر مرهون بالقضاء علي المقومات الشخصية الجزائرية، ولئن يتم ذلك إلا بوضع العديد من العراقيل أمام نشر التعليم

(١). انظر كلا من :- تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣م، ص ٥، ١٤. وخير الدين الزركلي، الإعلام، دار العلم للملايين - بيروت، مج ٣، ٩٦، ١٩٩٠م، ص ٢٨٩. ومازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار القلم - دمشق، ط ٢، ١٩٩٩م، ص ٢٧ ومابعدها.

(٢). انظر: ابن باديس، أثر الإمام عبد الحميد بن باديس، ج ٢، ص ٢٤-٢٥.

الإسلامي واللغة العربية، ومن تلك العراقيل إغلاق دور التعليم، بالإضافة إلى مضايقة من يقومون بالتعليم الدين الإسلامي، والتعرض لهم بالمكروه والأذى. ولعل القانون الذي صدر في ٨ مارس سنة ١٩٣٨م<sup>(١)</sup>، من أهم العراقيل التي وضعتها السلطات الاستعمارية أمام نشر التعليم الإسلامي، فقد ألزمت كل معلم باستصدار ترخيص بذلك، وإلا تعرض للغرامة والسجن بمقتضى ذلك القانون.

ويصف لنا الإمام ابن باديس تلك الحالة بقوله: "... أعداء الأمة الجزائرية يجمعون أمرهم ويدبرون كيدهم فيستصدرون من الحكومة قراراً وزارياً بعقوبات صارمة علي التعليم ليهدموا الشخصية الإسلامية من أصلها وليقضوا عليها بالقضاء علي مادة حياتها. علموا أن لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته، فأنصبوا تعليمها العدا وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكروه والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي والضم بالرخص واسترجاع بعضها حتى لم يبق منها إلا علي أقل القليل، ولما رأوا تصميم الأمة علي تعلم قرآنها ودينها ولغة دينها واستبسال كثير من المعلمين في القيام بواجبهم واستمرارهم علي التعليم رغم التهديد والوعيد ورغم الزجر والتغريم - لما رأوا هذا كله سعوا سعيهم حتى استصدروا قانون العقاب الرهيب"<sup>(٢)</sup>.

نفهم من ذلك، أن القانون كان ينص علي أن أي جزائري يريد أن يفتح مدرسة عربية أو كتاباً لتعليم القرآن الكريم واللغة العربية لا يكون له ذلك، إلا بترخيص مسبق من الحاكم الفرنسي في كل أنحاء القطر الجزائري. وكانت تفرض العقوبات علي ذلك، أما بالحبس وأما بالغرامة وأما بالعقوبتين معاً، "كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن"<sup>(٣)</sup>، وعندما تمنح الرخصة لأي شخص يشترط عليه عدة شروط وهي :- اقتصار التعليم في المدرسة أو الكتاب علي حفظ القرآن الكريم وحده، وعدم التعرض بأية صورة إلي تفسير الآيات القرآنية وخاصة الآيات التي تحض علي الجهاد وتندد بالظلم والاستبداد. واستبعاد دراسة التاريخ بصفة عامة، والتاريخ العربي بصفة خاصة، وكذلك جغرافية الجزائر والبلاد العربية، وأيضاً استبعاد دراسة الأدب العربي بجميع فنونه، وعدم تدريس المواد الرياضية والعلمية<sup>(٤)</sup>.

إذا فإن القانون قد فرض العقوبات فقط علي معلمي القرآن والإسلام، أما غيرهم من معلمي اللغات والأديان والمروجين للنصرانية في السهول والصحاري والجبال، بين أبناء وبنات الإسلام في أمن وأمان، بل في تأييد بالقوة والمال"<sup>(٥)</sup>. من قبل السلطات الاستعمارية، ولكن رغم ذلك، فإن هناك فئة من أبناء الجزائر المؤمنين بالدفاع عن دينهم ولغة دينهم، استبسلوا في سبيل القيام بواجبهم نحو الدين الإسلامي، وكان علي رأسهم الإمام ابن باديس، الذي ما أدرج جهداً في نشرهما، ومحاربة أعدائهما باللسان والقلم، من ذلك قوله: "فهنا - والله - ما يراد بنا، وأننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية، إننا عقدنا علي المقاومة المشروعة عزمنا، وسنمضي - بعون الله - في تعليم ديننا ولغتنا رغم كل ما يصيبنا، وإننا علي يقين من أن العقوبة - وإن طال البلاء - لنا، وأن النصر سيكون لحلفنا، لأننا قد عرفنا إيماناً، وشاهدنا عياناً، أن الإسلام والعربية قضى الله بخلودهما، ولو اجتمع الخصوم كلهم علي محاربتهما"<sup>(٦)</sup>.

إن الاستعمار الفرنسي منذ احتلاله للجزائر، أيقن أنه لن يتمكن من تحقيق أهدافه الرامية إلي إفقار الشعب الجزائري واستعباده وسلب مميزاته، إلا إذا قضى علي العقيدة الإسلامية واللغة العربية، فالدين الإسلامي كان أول ما امتدت إليه اليد الاستعمارية بالعدوان والتشويه، فالحملة

(٢)- المصدر السابق، ج٤، ص١٢٦.

(١)- ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص١٢٦-١٢٧.

(٢)- المصدر السابق، ج٤، ص١٢٦.

(٣)- فرحلت عباس، حرب الجزائر وثورتها "إلى الاستعمار"، تغريب أبو بكر رحل، مطبعة المحمدية - المغرب، "د - ت"، ص٩٢.

(٤)- ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص١٢٧.

(٥)- المصدر السابق، ص١٢٨.

كانت منذ بدايتها حملة صليبية في دوافعها وغاياتها فلا غرابة أن تتخذ من المبشرين المتعصبين دعاة ، وتقتحم بصلبانهم المساجد ودور العبادة فتحولها إلى كنائس ومتاحف ومستودعات ، وقال الكاردينال "لافيجري": "علينا أن نخلص هذا الشعب ونحرره من قرانه"<sup>(٣)</sup>. وقال سكرتير الجنرال "بيجو": "آخر أيام الإسلام قد دنت، وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا مسحيين جميعاً"<sup>(٤)</sup>. إن المحاولات الاستعمارية لتنصير كل الجزائريين باءت بالفشل، الأمر الذي دفعهم إلى التخطيط لتسوية الدين الإسلامي، وتحويله من عنصر حي فعال في الحركة الوطنية إلى شكل جامد متحجر يتوارى خلف سجون كثيفة من البدع والانحرافات، وذلك من خلال استغلال رجال الدين وبعض الزوايا الصوفية – كما تقدم – التي استمالتها وقدمت لها كل عون ومساندة لتخدر الشعب الجزائري، وكذلك عمل الاستعمار على محاربة اللغة العربية، من خلال التشجيع على استعمال اللغة العامية في الكتابة والمدارس وإحياء اللغة البربرية من جهة، وعن طريق إغلاق الكتاتيب<sup>(٥)</sup> والمدارس الابتدائية والثانوية ، وتخريب المراكز الثقافية التي كانت منتشرة في عدة مدن جزائرية. واعتبار الجزائري من جنس لا يقبل الثقافة أو التعليم، ولا يصلح إلا للأعمال الشاقة بدون أجر<sup>(٦)</sup>.

وهكذا وبرغم ما تعرض له الشعب الجزائري من جراء ذلك القانون، من انتشار الأمية، والبدع والأباطيل، وما وصلت إليه حالة التعليم الديني والعربي من انحطاط، فإن ذلك كله لم يمنع رجال الإصلاح من مواصلة جهودهم في تربية وتعليم أبناء الأمة ، وكان علي رأسهم الإمام ابن باديس الذي أكد مراراً وتكراراً علي أهمية العلم ودوره في الحياة والنهوض بالمجتمع ، لأن العلم "وحده الإمام المتبع في الحياة والأقوال والأفعال والاعتقادات"<sup>(٧)</sup>. وجاء تأكيد علي أهمية العلم والتعليم أثناء تفسيره للآية : ( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا )<sup>(٨)</sup>. بقوله: "أي لا تتبع ما لا علم لك به، فلا يكن منك إتياع بالقول أو بالفعل أو بالقلب لما لا تعلم، فنهانا عن أن نعتقد إلا عن علم ، أو نفعل إلا عن علم أو نقول إلا عن علم"<sup>(٩)</sup>. فالعلم – في نظر الإمام ابن باديس – "قبل العمل ، ومن دخل في الملة بغير علم لا يأمن علي نفسه من الضلال ولا علي عبادته من مداخل الفساد والاختلال".<sup>(١٠)</sup> وابن باديس يؤمن إيماناً عميقاً بالعلم ودوره الفعال في نهضة الأمم والشعوب ، ويعتبر العلم مقدماً علي العمل سواء في الأمور الدينية أو الدنيوية ، لأن من دخل في العمل بغير علم لا يأمن علي نفسه من الخطأ أو الضلال فيه.

والحق إن ابن باديس كان حريصاً علي الاهتمام بالتربية والتعليم، فهو لم يترك فرصة تلوح له دون أن يذكر الجزائريين بكل ما ينهض بهم في حياتهم، ويعلي من شأنهم في نظر العالم ويغتني دروسه الحية في تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف لاستخلاص العبرة والعظة فيما يتصل بواقع المجتمع الجزائري السيئ من جميع النواحي، ويحث الجزائريين علي وجوب الأخذ بكل ما ينهض بهم من كبوتهم ويعيد إليهم مجدهم الضائع ، وسيادتهم المسلوبة ، وذلك عن طريق التسليح بسلاح العلم الفعال في الحياة ، يقول ابن باديس: "قد دعانا الله إلي العلم ورغبنا فيه في غير ما آية، وأعلمنا أنه خلق لنا من في السموات وما في الأرض جميعاً ، وأمرنا بالنظر فيما خلقه لنا ، وأعلمنا هنا أن في هذه المخلوقات أسراراً بينها القرآن وأشتمل عليها ، وكان ذلك من

(٣)- محمد الصالح الصديق ، الجزائر بين الماضي والحاضر، الدار القومية – القاهرة، ١٩٦٠م، ص ٣٥.

(٤)- المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(٥)- الكتاتيب :- عبارة عن مكان ملحق بالمسجد، يقوم فيه المعلم بحفظ الصبيان القرآن ورسمه علي ألواح خشبية انظر: مصطفى حميدانو ، عبد الحميد بن باديس جهوده التربوية ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية \_ الدوحة، ١٩٩٧م، ص ١٢٢.

(٦)- محمد الميلي وعبد الله شريط ، الجزائر في مرآة التاريخ ، قسنطينة، ١٩٦٥م، ص ٢١٩.

(٧)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج١ ، ص ١٣٩.

(٨)- سورة الإسراء الآية : ٣٦.

(٩)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج١، ص ١٤٠.

(١٠)- ابن باديس حياته وآثاره ، إعداد: عمار طالي، دار القطة العربية للتأليف \_ الجزائر ، ١٩٨٦ م ، ج٢، ص ٢٧٥.

حجته العلمية علي الخلق ، فكان في هذا ترغيب لنا في التقصي في العلم، والتعمق في البحث ، لنطلع علي ما نستطيع الإطلاع عليه من تلك الأسرار، أسرار آيات الأكوان ، والعمران ، وآيات القرآن فازداد علما وعرفانا ، ونزيد الدين حجة وبرهانا ، ونجني من هذا الكون جلائل ودقائق النعم<sup>(١)</sup>.

وقد لخص الإمام حالة شعبه وإمكانية علاجه، بقوله: "إن الذي يبقى لنا في المسلمين الرجاء ، ويفسح لنا الأمل ، ويبعثنا علي العمل ، هو أن ما عليه أكثرنا ليس عن زهد في الإسلام ولا عن قلة محبة فيه ، وإنما هو عن جهل طال عليه الأمد ، وغفلة توالى علي الحقب .. وللجهل - بحمد الله - دواؤه الشافي وهو التعليم، وللغفلة علاجها النافع وهو التذكير"<sup>(٢)</sup>.

هكذا يؤكد ابن باديس علي أهمية التعليم ، ودوره في أعداد أجيال متتابعة للحفاظ علي دين الأمة وفكرها وشخصيتها في صورة سليمة مصفاة ، وخاصة إذا اتجهت العناية إلي رسالة المدرسة التربوية ولم تكن مقصورة علي تلقين المعلومات وحشو الأدمغة.

ولقد كان الإمام ابن باديس رائداً في استعمال لفظي "التربية والتعليم" في تسمية مؤسساته، إذ بكر في ذلك عشرات السنين عن حكومات الدول العربية التي قنعت بتسمية "وزارة المعارف" زمناً طويلاً ، وكان الإمام واعياً لتسميته ومغزاهما منذ اختيارها<sup>(٣)</sup>. وهذا ما سيتضح تفصيلاً فيما يأتي.

### ثالثاً:- ابن باديس وإصلاح المناهج التعليمية.

لقد بذل الإمام ابن باديس جهوداً كبيرة في مجال إصلاح المناهج التعليمية ، وطرق التدريس السائدة في المعاهد الإسلامية المختلفة كجامع الزيتونة بتونس، وجامع الأزهر بمصر، وجامع القرويين بالمغرب". إذ صب جل اهتمامه حول إصلاح هذا القطاع المهم والنابع من اعتقاده بأن صلاح المسلمين بصلاح علمانهم، وأن "العلماء من الأمة بمثابة القلب، إذا أصلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد الجسد كله... ولن يصلح العلماء إلا إذا أصلح تعليمهم، فالتعليم هو الذي يطبع المعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته"<sup>(٤)</sup>. لذلك نجده قد وجه العديد من الانتقادات للمناهج التعليمية ، وطرق التدريس المتبعة في تلك المعاهد ، كما أنه قد وضع اقتراحات لإصلاح تلك المناهج ، وهذا ما سنتناوله فيما يأتي:

### ١- نقد الإمام ابن باديس للمناهج التعليمية:-

قام منهج ابن باديس في إصلاح التربية والتعليم علي إبراز مشاكل التعليم وعيوبه في عصره ، فوجه نقداً لمناهج التعليم وطرق التدريس المتبعة في المعاهد الدينية . ثم قدم الحلول التي يجب إتباعها لإصلاح التعليم . ومن أهم الانتقادات ما يلي:-

١- إن المعلومات التي كانت تقدم للطلبة غير كافية ، ولم يدرسوا القرآن والسنة الشريفة دراسة وافية في جامع الزيتونة ، ولم يتفقهوا في الدين . ويقول في ذلك: "فقد حصلنا علي شهادة العالمية من جامع الزيتونة ، ونحن لم ندرس أية واحدة من كتاب الله ، ولم يكون عندنا أي شوق أو ادني رغبة في ذلك. ومن أين يكون لنا هذا ؟ ونحن لم نسمع من شيوخنا يوماً منزلة القرآن من تعليم الدين والتفقه فيه ، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك ، هذا في جامع الزيتونة، فدع عنك الحديث عن غيره مما هو دونه بعيد من المراحل"<sup>(٥)</sup>. ويقصد ابن باديس هنا ، أنه قد يحصل الطالب علي شهادة العالمية ، دون أن يدرس أية قرآنية واحدة ، ودون أن يكون لديه الرغبة في دراسته وذلك لعدم تشجيع أساتذته له .

٢- أن طرق التدريس المتبعة في المؤسسات الدينية العريقة كجامع الزيتونة وغيره كانت تعتمد علي أسلوب واحد وهو الجدل والخلافات المذهبية في تفسير القرآن وكثرت الاختلاف فيما لا

(١). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص ٢١٧.

(٢). المصدر السابق ، ص ٦٦.

(٣). فتحي عثمان ، ابن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، دار القلم - الكويت ، ١٩٨٧م ، ص ٨٣.

(٤). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص ٧٤.

(٥). المصدر السابق ، ص ٧٦.

خلاف فيه. هذا إلى جانب أن القائمين علي التعليم كان أغلبهم جاهلين بطرق التدريس السليمة. يقول ابن باديس: "وذلك أنني كنت متبرماً بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية وإصلاحاتهم المذهبية في كلام الله ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن"<sup>(١)</sup>.

(٣) - أن طرق التدريس كانت تعتمد علي الجانب اللفظي دون الاهتمام بلب العلم والثقافة ، مما يؤدي إلي عدم تحقيق المقصود من التربية الإسلامية، والسبب في ذلك أنها طرق بالية عتيقة تهتم بالجانب اللفظي والمناقشات العقيمة والخلافات الجزئية بين الشيخ "عبد الحكيم" وأصحابه في القواعد التي كان الطالب يظن نفسه أنه قد انتهى منها ، عن الاهتمام بلب العلم والثقافة ، فالطالب يضيع زهرة شبابه في دراسة العلوم الآلية ، ومحاولة التوفيق بين رأي هذا العالم أو ذلك ، وبين التعليق ، وتعليق التعليق إلي آخره ، دون أن يكون هذا الطالب قد طالع ختمة واحدة في أصغر تفسير للقرآن كتفسير الجلالين<sup>(٢)</sup>. وهذا ما أكده ابن باديس بقوله: "وفي جامع الزيتونة - عمره الله تعالى- إذ حضر الطالب بعد تحصيل التطويع"<sup>(٣)</sup> في درس تفسير، فإنه ويا للمصيبة يقع في خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم وأصحابه، في القواعد التي كان يحسب أنه فرغ منها من قبل ، فيقضي في خصومة من الخصومات أياماً أو شهوراً ، فتنتهي السنة وهو لا يزال حيث ابتداء أو ما تجاوزه إلا قليلاً دون أن يحصل علي شيء من حقيقة التفسير، وإنما قضى سنته في المماحكات بدعوي أنها تطبيقات للقواعد علي الآيات ، كان التفسير إنما يقرأ لأجل تطبيق القواعد الآلية، لا لأجل فهم الشرائع والأحكام الإلهية ، فهذا هجر آخر للقرآن ، مع أن أصحابه يحسبون أنفسهم أنهم في خدمة القرآن"<sup>(٤)</sup>. إذا فإن مثل هذه الطريقة - في نظر الإمام - لا تصلح للتربية ، لأنها "تخرج طلاباً لا يكتسبون الفهم والمقدرة علي الجدل إلا في الأنفاظ ، لأن ثقافتهم في الأصل ثقافة لفظية، تعني بالقضايا المنطقية الصورية والقواعد الآلية"<sup>(٥)</sup>. وهناك دليل آخر من الإمام ابن باديس ، يوضح فيه ضعف مستوي التعليم والمعلمين في عصره ، وخاصة في تلك المعاهد، سواء كان في ثقافتهم العامة ، أو إمامهم بفروع المعرفة التي يقومون بتدريسها، فكما هجروا " هو المبين للناس ما نزل القرآن هجروا السنة ، يقول ابن باديس: "وعلمنا القرآن أن النبي " إليهم من ربهم ، وأن عليهم أن يأخذوا ما أتاهم، وينتهوا عما نهاهم عنه ، فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن ، فهجرناها كما هجرناه،... حتى أنه يقول في المتصدين للتدريس - من كبار العلماء في أكبر المعاهد - من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها، مطالعة ، فضلاً عن غيرهم من أهل العلم ، فضلاً عن غيرها من كتب السنة"<sup>(٦)</sup>.

(٤) - أيضاً انتقد الطرق المتبعة لتدريس مادة الفقه الإسلامي ، والوسائل الشائعة لتطبيق الأحكام الإسلامية في الحياة العامة ، والسبب في ذلك يرجع إلي أنه وجد فيها انحرافاً خطيراً منشؤه الاعتماد بشكل أساسي علي الفروع المقطوعة عن أصولها، والإعراض عن الاستدلال والتعليل والقياس والنظر. مما يشكل - في نظره - هجراً لكتاب الله وبعداً آخر عنه ، وهذا ما نجده عند تفسيره الآية: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾<sup>(٧)</sup>. حيث يقول: "وبين القرآن أصول الأحكام ، وأمهاات مسائل الحلال والحرام ، ووجوه النظر والاعتبار ، مع بيان حكم الأحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام، فهجرنا ، واقتصرنا علي قراءة

(١). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج١ ، ص ٤٧٥.

(٢). تركي رباح ، الإمام عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهود في التربية والتعليم ، رسالة ماجستير \_ جامعة عين شمس ، ١٩٦٩ م ، ص ٢٦١-٢٦٢.

(٣). التطويع : هي الإجازة أو مستوي الشهادة العالمية.

(٤). ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ١٧٤.

(٥). حسن عبد الرحمن ، عبد الحميد ابن باديس مفسراً ، رسالة ماجستير \_ جامعة عين شمس ، ١٩٧٩ م ، ص ١٦٨.

(٦). ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص ١٧٤.

(٧). سورة الفرقان ، الآية : ٣٠.

الفروع الفقهية مجردة بلا نظر، جافة بلا حكمة، محجبة وراء أسوار من الألفاظ المختصرة، تفني الأعمار قبل الوصول إليها<sup>(٥)</sup>.

إنّ يؤكّد الإمام علي ضرورة الرجوع إلى طريق الصواب بالرجوع إلى التفقه في الكتاب والسنة وربط الفروع بالأصول والأدلة.

وعلي العموم، فإن الإمام ابن باديس يرى أن حالة العلم هذه التي انتهت إليها عصره من هجر القرآن الكريم والسنة المطهرة، والأعراض عن ربط الفروع بأصولها، ومعرفة مأخذها ليست بجديدة، بل هي داء قديم في المغرب العربي وكذلك في الأندلس، وخير دليل على ذلك، هو استدلاله بما أورده الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه "العواصم من القواصم" من نقد لاذع لفقهاء الأندلس في عصره، حيث رماهم بالتقليد والجمود وجفاف المناهج وعمقها، يقول ابن باديس: "فهذا الإمام العظيم قد عاب عليهم نظرهم في الحوادث بغير علم لأن ما عندهم من الفروع المقطوعة عن الأصول لا يسمي علماً، ولما لم تكن عندهم الأصول تاهوا في الفروع المنتشرة، ومحال أن يضبط الفروع من لم يعرف أصولها، وذكر ما أداهم إليه إهمال النظر، من الانقطاع عن أقوال مالك نفسه، وأمثاله إلى أمثالهم من الفروعيين التائهين الناظرين بغير علم، فإذا كان الحال هكذا من تلك الأيام في تلك الديار، وقد مضت عليه القرون في هذه البلاد وغيرها، فإن قلعه عسير والرجوع بالتعليم إلى التفقه في الكتاب والسنة، وربط الفروع بالمأخذ والأدلة أعسر وأعسر"<sup>(٦)</sup>. وهناك العديد من الأمثلة الأخرى التي أوردها الإمام ابن باديس غير أن المجال لا يتسع لذكرها جميعاً. والواقع أن الإمام ابن باديس أراد من عرض تلك الأمثلة أن يبين أن الاختلاف بين علماء المسلمين وعامتهم، يحدث في الفروع فقط، أما في الأصول فلا يمكن أن يكون هناك اختلاف، لأن أصول الشريعة ثابتة لا يأتيتها الباطل، وبالتالي يجب أن نرجع كل شيء إلى أصله، ليكون المنطلق بعد ذلك سليماً وخالياً من الشوائب.

(٥) - كما أننا نجد منتقدي الأساليب التعليمية المتبعة في جامع الأزهر، وخاصة تلك التي عاب فيها علي أساتذته الاتصال العابر بطلابه، بحيث لا يتجاوز هذا الاتصال أوقات الدراسة، يقول: "أغلب المعلمين في المعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهر، لا يتصلون بتلامذتهم إلا اتصالاً عاماً لا يتجاوز أوقات التعليم، فيتخرج التلاميذ في العلوم والفنون، ولكن بدون تلك الروح الخاصة التي ينفخها المعلم في تلميذه - إذا كانت للمعلم روح - ويكون لها الأثر البارز في أعماله العلمية في سائر حياته"<sup>(٧)</sup>.

وهذا يعني أن الطالب عندما يتخرج في العلوم والفنون المختلفة، لا يملك تلك الروح التي ينفخها الأستاذ في تلميذه، كما كان يفعل كبار المربين المسلمين في تاريخ التربية الإسلامية، "حيث كانت صلة الطالب بأستاذه لا تقتصر على ساعة الدرس فقط بل تتجاوز ذلك، حيث يصبح الطالب مريداً للأستاذ يلزمه في أغلب مجالسه ويتلقى منه التوجيه العلمي والروحي، وبذلك يتكون علمياً وروحياً وفكرياً تكويناً متيناً يجعل منه شخصية علمية فائدة في مجال تخصصها وفي المجتمع الذي يعيش فيه"<sup>(٨)</sup>.

ولعل هذا ما يفسر لنا مدي الأثر الكبير الذي تركه الإمام ابن باديس في نفوس متعلميه، ومما يؤكد ذلك أحد تلامذته حينما وصفه قائلاً: "لم يكن معلماً فحسب كما هو الشأن في بعض المسلمين بل كان أيضاً مربياً... فلقد كان - طيب الله ثراه - يعطف علي تلامذته عطف الأم الرؤوم علي أبنائها الصغار ويعاملهم معاملة كلها سماحة.. ولطف ويعني بتوجيههم التوجيه الصالح إلي حد بعيد. ونجده كذلك لا يحدد علاقته بهم بحصة الدرس كما يفعل بعض المعلمين بل يحاول أن يجعل منها علاقة تماثل علاقة الوالد بولده قوة ومتانة، فيتصل بكل واحد منهم اتصالاً خاصاً ويتعرف إلي حالته وسلوكه، ويفيض عليه من روحه المثوبة شأن المربي الكامل والمعلم

(٥) - ابن باديس، تفسير. ابن باديس، ص ١٧٣.

(٦) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٣، ص ٨١.

(٧) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٣، ص ٨٩.

(٨) - تركي رابع، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص ٢٦٤.



النصوص ، وعندما ينتهي العام الدراسي ويزعم التلاميذ الرجوع إلي بلدانهم يذهب الإمام بنفسه إلي توديعهم في المحطة فرداً فرداً دلالة علي محبته ، لهم وتقديره لفرانهم وإشعاراً لهم بأنه أب روعي لهم" (٣).

وهي نفس الروح التي "كان قد نفخها السيد جمال الدين الأفغاني في تلامذته الكثيرين في مصر مما جعله في خلال سنوات قلائل فقط يكون مجموعة من الرجال القادة ، استطاعوا أن يبعثوا النهضة والنشاط في المجالات الفكرية والسياسية والإصلاحية والتربوية لا في مصر فحسب بل في العالمين العربي والإسلامي علي امتداد رقعتهم الواسعة" (٤).  
تعتبر هذه هي أهم الانتقادات التي وجهها الإمام ابن باديس للمناهج التعليمية وطرق التدريس السائدة في تلك المعاهد الإسلامية في عصره. والسؤال هنا: ما هو البرنامج المقترح الذي قدمه لإصلاح المناهج التعليمية بها؟

## ٢- اقتراحات ابن باديس لإصلاح التعليم في جامع الزيتونة:

لقد تقدم ابن باديس باقتراح إلي لجنة وضع المناهج التي شكلها "البأى" سنة ١٩٣١م ، لإصلاح جامع الزيتونة بتونس (٥). وكان هذا الاقتراح يتضمن بيان نوع التعليم الذي ينهض به، يقول: "إن جامع الزيتونة كلية دينية فلا يكون إصلاح التعليم فيه إلا علي مراعاة هذا الوصف الذي هو أساسه وغايته، والرجال الذين يتخرجون فيه هذا الجامع يقومون بخطط كلها دينية وهم أصناف ثلاثة:- رجال القضاء والفتوى ، ورجال الإمامة والخطابة ، ورجال التعليم" (٦). وبناءً علي ذلك ، فقد راعي ابن باديس في اقتراحه تلك التخصصات ، لهذا يري أن أول عمل في الإصلاح هو تقسيم مراحل الدراسة فيه إلي قسمين : قسم المشاركة وقسم التخصص.

### أولاً: مراحل الدراسة:-

(١) - قسم المشاركة :- أو ما يسمى في بعض الجامعات بالقسم العام، حيث يتساوى فيه المتعلمون في المعلومات ، علي اختلاف طبقاتهم "مقاصدهم" ، وتكون مدة الدراسة فيه لا تقل عن ثمانين سنوات ، يتحصل الطالب بعد اجتياز الامتحان علي شهادة عالم مشارك بدلاً من عالم متطوع ، لأن لفظ "متطوع" قد مات معناه وذهبت قيمته بذهاب الوقت الذي وضع فيه والمناسبة التي اقتضته (٧)، وتشمل مناهج الدراسة في هذا القسم ، علي ما يأتي:- فنون اللغة العربية "نحو وصرف وبيان"، ويشترط في تدرسيها تطبيق قواعدها علي الكلام الفصيح لتحصيل الملكة ؛ وأما قراءتها لذاتها وبدون تطبيق ، كما كان جارياً ، فيعتبره تضييع وتعطيل وقلة تحصيل (٨). وعلي تاريخ الأدب العربي ، وعلي تعلم الإنشاء وتعلم حسن الأداء في القراءة وإلقاء الكلام ، وعلي العقائد الإسلامية "ويجب أن تؤخذ هي وأدلتها من آيات القرآن ، والأحاديث النبوية ، فإنها وافية بذلك كله ، وعدم إهمالها وعدم الذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ، ومصطلحاتهم الجافة ، ويعتبر ذلك من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير" (٩). وعلي تعلم الفقه : ويجب أن يقتصر فيه علي المسائل دون ذكر تشعباتها ، ثم يرتقي في تطبيقها علي المسائل الفقهية ؛ لتحصل لهم من هذا ، ومن ذكر أدلة المسائل الفقهية ملكة النظر والاستدلال" (١٠). وعلي التفسير: وفيه يوصي بتدريس تفسير الجلالين، ويذكر ابن باديس هنا ، أن المقصود من سرد هذا التفسير أن يطلع عليها المتعلم في مراحل الأولى ، شريطة أن يشرح الأستاذ المعاني التي تحتاج إلي شرح والمفردات الغامضة ، بقصد أن يفهم المتعلم أصول المعاني بطريق الأجمال ، وعلي الحديث النبوي : وتكون بدراسة مختارات من كتب السنة ، وعلي التربية الأخلاقية : ويعتمد فيها علي

(٣). حسن عبد الرحمن ، عبد الحميد ابن باديس مفسراً ، ص ١٧٢.

(٤). تركي رباح ، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، ص ٢٦٤.

(٥). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس، ج٤ ، ص ٥٧.

(٦). المصدر السابق ، ص ٥٨.

(٧). المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(٨). ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس، ج٤ ، ص ٥٩.

(٩). المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(١٠). المصدر السابق ، ص ٥٩-٦٠.

آيات وأحاديث وآثار السلف الصالح، وعلي التاريخ الإسلامي علي وجهه الاختصار، وعلي الحساب والجغرافيا بأقسامها، ومبادئ الطبيعة والفلك والهندسة<sup>(١)</sup>.

(٢) - قسم التخصص :- لقد رأي ابن باديس أن يفرع هذا القسم إلي ثلاثة فروع: بناء علي التخصصات السابقة، وهي :- فرع القضاء والفتوى وفرع الخطابة والإمامة، وفرع التخصص في التعليم.

أولاً :- فرع القضاء والفتوى:- تكون مدة الدراسة في هذا التخصص لا تقل عن أربع سنوات، يمنح المتخرج فيه بعد نجاحه في الامتحان شهادة العالمية في تخصصه<sup>(٢)</sup>، ويدرس الطلبة من خلاله ما يلي :- اتوسع في فقه المذاهب، ثم في الفقه العام، ويكون كتاب "بداية المجتهد لابن رشد" من الكتب التي يدرسونها، ودراسة آيات وأحاديث الأحكام، ودراسة علم التوثيق، والتوسع في علم الفرائض والحساب، والإطلاع علي مدارك المذاهب الفقهية الأخرى "الفقه المقارن" حتى يكرنوا فقهاء إسلاميين، يستطيعون النظر إلي الدنيا من مرآة الإسلام الواسعة، لا من عين المذاهب الضيقة<sup>(٣)</sup>.

ثانياً :- فرع التخصص في الخطابة والإمامة:- تكون مدة الدراسة فيه سنتين يمنح الطالب بعد اجتياز الامتحان علي شهادة العالمية في تخصصه<sup>(٢)</sup>، ويتوسع الطلبة في دراسة: صناعة الإنشاء والإطلاع علي أنواع الخطب، مع التمرين علي إلقاء الخطب الارتجالية<sup>(٣)</sup>. وفي نفس الوقت ينبه ويحذر ابن باديس من الخطب المحفوظة المتلوة علي الأحقاب والأجيال، لأنها ما هي إلا مظهر من مظاهر قصورنا وجمودنا<sup>(٤)</sup>، وكذلك يتوسع لهم في دراسة: آيات المواعظ والآداب والأحاديث النبوية الدالة علي ذلك، والتوسع في السيرة النبوية، وكيفية نشر الدعوة الإسلامية<sup>(٥)</sup>.

ثالثاً: فرع التخصص في التعليم "إعداد المعلمين" :- وتكون مدة الدراسة في هذا التخصص سنتين يمنح الطالب بعد اجتياز الامتحان شهادة العالمية في تخصصه ويتوسع الطلبة في الدراسة :- العلوم التي يقومون بتدريسها بعد تخرجهم، وتمرينهم علي التعليم بالفعل "التربية العملية"، مع التركيز علي دراسة كتب فن التعليم وهو ما يسمى في التربية الحديثة بأصول التربية الحديثة وعلم النفس<sup>(٦)</sup>.

هذا باختصار ما قدمه ابن باديس من اقتراحات لإصلاح المناهج التعليمية في جامع الزيتونة. أما فيما يخص إصلاح حال المعلمين فإنه يرى : ضرورة أن يكون "المعلمون في قسم الاشتراك من الحائزين علي شهادة التخصص في التعليم، وكذلك المعلمون في أي فرع من التخصص للتعليم، وأما المعلمون في فرع القضاء والفتوى، فلا بد أن يكونوا ممن تخصصوا فيهما، وتخصصوا في التعليم وكذلك المعلمون في فرع الخطابة"<sup>(٧)</sup>.

إن هذا دليل من الإمام ابن باديس يؤكد علي أهمية المعلم في إنجاح العملية التعليمية، لأن صلاح المناهج يفتقد أهميته إذا لم يتوفر المعلم الكفء.

وبناء علي ذلك، يمكننا أن نتساءل هل أعطي الإمام في برنامجه الإصلاحي للمناهج التعليمية أهمية لإصلاح المعلم ؟ وخاصة إن العملية التعليمية مرتبطة مع بعضها البعض برباط وثيق، فالمنهج والمعلم عنصران رئيسان في العملية التربوية، وكلاهما مسخر لخدمة المتعلم وتثقيفه، وتنشئة الناشئة الصالحة.

(١) - المصدر السابق، ص ٦٠.

(٢) - المصدر السابق، ص ٥٩.

(٣) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص ٦٠.

(٤) - المصدر السابق، ص ٥٩.

(٥) - المصدر السابق، ص ٦٠.

(٦) - أنظر :- حسن عبد الرحمن، عبد الحميد ابن باديس مفسراً، ص ١٧٤.

(٧) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص ٦٠.

(٨) - المصدر السابق، ص ٦١.

(٩) - المصدر السابق، ص ٥٩.

**ثانياً : المعلم الصالح في نظر الإمام ابن باديس:**

لقد إدراك ابن باديس أهمية وجود المعلم الصالح في إنجاح العملية التعليمية التربوية ، لأن صلاح المناهج تقتقد أهميته إذا لم يتوفر المعلم الكفء . ولعل أحد الأسباب التي دفعته إلي إصلاح حال المعلمين ، هو ما لاحظته في العملية التربوية في عصره ، حيث كانت تفتقر لكثير من مقوماته الأساسية خاصة تلك المتعلقة بالمعلمين ، ويمكن أن نجملها في الآتي:-

(١)- ضعف مستوي المعلمين:- يصف لنا ابن باديس ضعف مستوي المعلمين في عصره ، سواء في ثقافتهم العامة ، أو إلمامهم بفروع المعرفة ، التي يقومون بتدريسها- كما تقدم - فيقول : "أنه ليقل في المتصدين للتدريس، من كبار العلماء في أكبر المعاهد ، من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطأ والبخاري ومسلم ونحوها ، مطالعة فضلاً عن غيرهم من أهل العلم ، وفضلاً عن غيرها من كتب السنة"<sup>(١)</sup>.

(٢)- تقصير المعلم في مسألة الإصلاح:- يذهب ابن باديس إلي أن الكثير من المعلمين، مقصرون في مسألة الإصلاح التربوي ، ولعل السبب في ذلك يرجع إلي المستعمر الفرنسي الذي كان يدرك جيداً أهمية الرسالة التي يقوم بها قطاع التعليم وخطرها عليه ، فحرص جاهداً لإفراغه من محتواه ، ومحاربة القائمين عليه ، إلا من عرف أنهم لا يحركون ساكناً ولا يوقظون نائماً ، ممن لا يفقه كتاباً ولا سنة"<sup>(٢)</sup>.

يقول ابن باديس: "فالعلماء- إلا قليلاً منهم - أجانب أو كالأجانب من الكتاب والسنة ؛ من العلم بهما والتفقه فيهما ، ومن فطن منهم لهذا الفساد التعليمي ، الذي باعد بينهم وبين العلم بالدين ، وحملهم وزرهم ، ووزر من في رعايتهم ، لا يستطيع - إذا كانت له همّة ورغبة - أن يتدارك ذلك إلا في نفسه.. أما تعليمه لغيره ، فإنه لا يستطيع أن يخرج فيه عن المعتاد ، الذي توارثه عن الآباء والأجداد ، رغم ما يعلم فيه من فساد وإفساد"<sup>(٣)</sup>.

(٣) استغلال وظيفة تعليم القرآن: أيضاً استغلال هذه الوظيفة يعتبر أحد الآفات التي أصابت التعليم في عصر الإمام ابن باديس ، وساهم في وجودها الجهل من جهة ، والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى، وكان استغلالها للحصول علي أغراض ومطامع دنيوية، خاصة لدي القراء ومعلمي القرآن ، يقول الإمام : " وكثير من قراء زماننا لا يقصدون من حفظه إلا التوسل به للتلاوة علي الموتى بأجرة ، ونحو ذلك من الأغراض الدنيوية المحضة"<sup>(٤)</sup>. ولكن في نفس الوقت ، يشير إلي أن هذا الذم لا يتوجه للذي يأخذ الأجرة علي تعليم القرآن إذا كان في مقابل تعب وشغل وقته وسد حاجته ، ف "علي هذا المعلم- إن أراد السلامة من ذلك الذم - أن يكون هو نفسه عاملاً بكتاب الله ، وأن يقصد من تعليمه الدعوة إلي العمل به"<sup>(٥)</sup>.

وقد كان الإمام ابن باديس نفسه ، قدوة لأولئك المعلمين ، فلم يأخذ أجراً مقابل ما يقدمه لطلبته من دروس ، محتسباً أجر ذلك عند الله . كان ابن باديس يقصد من ذلك أن لا تكون المادة وحدها هي هدف المعلم ، وإنما يكون مخلصاً في عمله ويشعر أنه صاحب رسالة سامية يقدمها إلي طلبة العلم ، وأن يكون قدوة حسنة لتلاميذه . ولا شك أن فاقد الشيء لا يعطيه ، فعليه أن يكون متمكناً من العلم وفي نفس الوقت مخلصاً في تعليمه إلي التلاميذ ، وأن لا يقصر في أداء هذه المسؤولية علي أحسن وجه .

وهكذا يتضح لنا أن الإمام ابن باديس يؤكد علي ضرورة إصلاح المعلم وإعداده، لأنه بذلك إصلاح للمتعلم ، بل إصلاح للعملية التربوية بكاملها. لأن المعلم- في رأيه- لا يقتصر علي توصيل العلم من الكتب إلي عقول المتعلمين ، وختم البرنامج الدراسي في نهاية الفصل ، بل

(١)- ابن باديس ، تفسير ابن باديس ، ص: ١٧٤.

(٢)- مصطفى حميداتو ، عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية ، ص: ١٤٦.

(٣)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج: ٤ ، ص: ٧٤.

(٤)- ابن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، مطبوعت وزارة الشؤون الدينية - الجزائر ، ٢٠٠٥ م ، ص: ٢٠٨.

(٥)- المصدر السابق ، نفس الصفحة . مصطفى حميداتو ، ابن باديس وجهوده التربوية ، ص: ١٤٧.

يتعداه إلى بناء شخصية المتعلم ، وتنمية عقله ، وتهذيب سلوكه ، وإعداده لمشاركة القوة الحية في المجتمع<sup>(١)</sup> . وبالتالي فهو يري أن من أهم صفات المربي المسلم ، أن يكون متمكناً من العلوم والفنون التي تصدر لتدريسها ، مستوعباً لتفاصيلها وفروعها ، وأن يكون ملماً بمبادئ فن التعليم "طرق التدريس" حتى يتمكن من التأثير في طلبته ، ومعاملتهم بحسب ما يلائمهم في الجوانب المعرفية والسلوكية ، ذلك أن أهم ما يحتاج إليه المعلم هو: "معرفة أساليب التفهيم ، وفهم نفسية المتعلمين ، وحسن التنزيل لهم ، والأخذ بإفهامهم إلى حيث يريد بهم ، حسب درجتهم واستعدادهم"<sup>(٢)</sup>.

كما أنه يؤكد علي ضرورة التزام المعلم بالنظم والقوانين التربوية ، ومحاربة الإهمال والتسبب ، وألا يدخر من جهده في رعاية الطلبة وتفقدتهم<sup>(٣)</sup> . والابتعاد عن أساليب التقنيط والتحقير لما لها من آثار سلبية علي نفوس المتعلمين ، يقول الإمام: "عندما تشعر النفس بحقارتها وعجزها تتعد عن العمل ، وترجع إلى أحط دركات السقوط... إذ التحقير والتقنيط ، وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس ، نفوس الأفراد والجماعات وذلك ضد التربية والاحترام والتثقيف ، وبعث الرجاء إحياء لها ، وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته"<sup>(٤)</sup> ، ولذا علي المعلم أن يعامل الطالب بعين الشفقة والحنانة ، لا بعين الزراية والاحتقار<sup>(٥)</sup> . وابن باديس بذلك يهتم بالجانب السيكولوجي للطلاب ويشجعه علي حب العلم وتحصيله والثقة في نفسه وقدراته . وهذه مهمة تربوية لا يستهان بها .

أيضاً يؤكد ابن باديس علي "عدم تعلق المعلم بتطويل الدروس بمعلومات سطحية لا فائدة منها في التكوين الطلاب العلمي، تقليداً للمؤلفات التي قرأها ، من غير تعود بالفصل في ذلك بين صحيح ومجروح، ودون التفريق بين ما ينبغي إلقاؤه للتلازمة وما لا ينبغي"<sup>(٦)</sup> . أخيراً: يجب أن يكون المعلم قدوة لتلاميذه ، ومثلاً يحتذي به . وأن ينشئهم علي حب العمل والمثابرة والشجاعة والحرية والمروءة واحترام الحق والعدالة والعفاف وكرم الأخلاق ، والسعي لإصلاح النفس والأمة حتى يكونوا أعضاء نافعين في المجتمع<sup>(٧)</sup> . أن توفر مثل هذه الصفات المهمة للمعلم، لها بالغ الأثر في توفير الوسط الملائم لإنجاح جهوده التعليمية ، والوصول بها إلى أعلى المراتب ، وهو ما يفسر نجاح الإمام ابن باديس في دعوته الإصلاحية ، حيث كانت إحدى عوامل نجاحه في جمع كلمة الشعب الجزائري بمختلف فئاته ، وتوجيهه توجيهاً عربياً إسلامياً، وتربية أجيال من أبنائه تربية إسلامية صحيحة.

حقاً كان الإمام مدرسة أخلاقية بسلوكه وتصرفاته ومعاملاته ، وكانت أقواله ونظرياته صورة صادقة لواقع حياته ، وعصارة خالصة لأعماله ومعتقداته وخبرته في الحياة . ولقد أجمل الدكتور محمود قاسم: الصفات الشخصية للإمام ابن باديس في تعبير مركز قائلاً: — "إن الشيخ ابن باديس هو السهل الممتنع ؛ ذلك أن صفاته تتدرج من التواضع والرفق بالناس والتسامح معهم والتفاهل لهم، والاعتماد علي الخالق إلي الصرامة في الحق والشجاعة التي لا تقف عند حد ، هذا إلي جانب ذكاء مفرط ، وتوفيق من الله جعله قادراً علي توجيه الأمة الجزائرية إلي التحدي في أناة وحزم"<sup>(٨)</sup> . ويمكن القول: بأنه كان قدوة لغيره ، بأخلاقه الفاضلة ،

(١)- مصطفى حميداتو ، ابن باديس وجهوده التربوية ، ص ١٤٨ .

(٢)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج ٤ ، ص ٥٨ .

(٣)- إبراهيم عبد الله معمر ، منهج التجديد في الفكر الإسلامي بين ابن باديس وابن عاشور ، رسالة دكتوراه \_ جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦ م ، ص ٣٨٢ .

(٤)- ابن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ص ٨٢ .

(٥)- إبراهيم عبد الله معمر ، منهج التجديد في الفكر الإسلامي بين ابن باديس وابن عاشور ، ص ٣٨٣ .

(٦)- إبراهيم عبد الله معمر ، منهج التجديد في الفكر الإسلامي بين ابن باديس وابن عاشور ، ص ٣٨٣ .

(٧)- المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٨)- محمود قاسم ، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، دار المعارف \_ مصر ، "د - ت" ، ص ٣٥ .

فقد كان مخلصاً في عمله ، شجاعاً في مواقفه ، قوياً في شخصيته ، رؤوفاً بطلبته<sup>(٤)</sup>. وجاد ومجدداً في النهوض بالتعليم وجميع نواحي الحياة في الجزائر.

والسؤال هنا ما هو الجانب العملي الذي قدمه الإمام للإصلاح التعليم في الجزائر؟

#### رابعاً- دور ابن باديس العملي في إصلاح التعليم بالجزائر:

(١)- أسس ابن باديس "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة ١٩٣١م" وكان لها دور كبير في النهوض بالتربية والتعليم في الجزائر. "فصلاح التعليم أساس الإصلاح"<sup>(١)</sup> في نظره.

لذلك نجده قد عبر عن اهتمام الجمعية بالتعليم، بقوله: "أما الاعتناء بالتعليم فهذا هو الذي انقطعت إليه الجمعية وقامت به قيامها ، ففي "قسنطينة" ، وفي "ميلة" ، وفي "المعيلية" ، وفي "جيجل" ، وفي "بجاية" ، وفي "بسكرة" ، وفي "تبسة" وفي بلدة "الجزائر" ، وفي "بني ورتلان" ، وفي "بني يعل" ، وفي "تلمسان" وفي غيرها في كثير من البلدان، تجد رجال مجلس إدارة الجمعية، وغيرهم من ذوى القلم يقضون ليلهم ونهارهم في الدروس العلمية الفقهية، والدروس العلمية الإرشادية، وتلقين مبادئ الدين واللغة لمن استطاعوا إليه سبيلاً من النشئ الصغير"<sup>(٢)</sup>. وهذا دليل واضح من ابن باديس يؤكد فيه علي دور الجمعية في نشر التعليم في كل أنحاء القطر الجزائري لأن المحافظة علي التراث الثقافي الحضاري للمجتمع الجزائري العربي المسلم ، من أهم الأشياء التي يجب التركيز عليها ، وخاصة في مواجهة سياسة الاستعمار الفرنسي الرامية إلي مسح مقومات الشخصية الجزائرية منذ احتلاله للجزائر عام ١٨٣٠م.

(٢)- عمل الإمام منذ أن بدأت حركته الإصلاحية التعليمية عام ١٩١٣م، علي نقل التراث الإسلامي إلي الأجيال الصاعدة من أبنائه، إذ يري أن لا بقاء "للإسلام في الجزائر إلا ببقاء علومه ، ولا بقاء لعلومه إلا بوجود من يتعلمها ويعلمها"<sup>(٣)</sup>. ولهذا نجده قد ركز علي إصلاح التعليم ، بقوله: "إذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم"<sup>(٤)</sup>.

ولعل أحد الأسباب التي دفعته إلي ذلك ، هو ما لاحظته في المناهج التربوية وطرق التدريس المتبعة في تلك المعاهد الكبرى ، بأنها ليست في حالة اعتدال ، سواء في صورتها أو مادتها ، لإهمالها كثيراً من المبادئ الخالدة التي جاء بها الإسلام. وبالتالي فهو يري أن التعليم "لن يصلح.. إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه ، في مادته وصورته ، فيما كان يعلم ﷺ" وفي صورة تعليمه"<sup>(٥)</sup>.

كما أنه يوضح طبيعة هذا التعليم النبوي وكيفية ، فيقول: "كان رسول ﷺ يعلم الناس دينهم من الإيمان والإسلام والإحسان.. وكان يعلمهم هذا الدين بتلاوة القرآن عليهم وما بينه لهم من قوله وفعله وسيرته وسلوكه في مجالس تعليمه"<sup>(٦)</sup>. ويضرب لنا ابن باديس أمثلة علي تطبيق هذا المنهج الذي يدعو إلي العودة إليه ، بمنهج الإمام مالك بن أنس في كتابه "الموطأ" وهو سيد أتباع التابعين ، وكذلك بمنهج الإمام الشافعي تلميذ الإمام مالك في كتابه "الألم" ، حيث نجدهما في بيان الدين قد بنيا أمرهما علي الآيات القرآنية ، وما صح عندهما من أقوال النبي وأفعاله ، وما كان من عمل أصحابه ، يقول: "وإذا رجعت إلي "موطأ" الإمام مالك سيد أتباع التابعين فإنك تجده في بيان الدين قد بني أمره علي الآيات القرآنية ، وما صح عنده من قول النبي ﷺ وفعله ، وما كان من عمل أصحابه الذي يأخذ منه ما استقر عليه الحال آخر حياته... وكذلك إذا رجعت إلي كتاب "الألم" لتلميذ مالك الإمام الشافعي فإنك تجده قد بني فقه علي الكتاب وما ثبت عنده من السنة"<sup>(٧)</sup>.

(٤)- أنظر في ذلك كلا من:- مصطفى حميداتو ، الإمام عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية ، ص١٢٤-١٣٢. ومازن مطبقاتي ، ابن باديس الزعيم السياسي والعالم الرباني ، ص٣٦-٤٣.

(٥)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص٧٤.

(٦)- المصدر السابق ، ص١٧٧.

(٧)- المصدر السابق ، ص٨٢.

(٨)- المصدر السابق ، ص٧٤.

(٩)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص٧٤.

(١٠)- المصدر السابق ، ص٧٥.

(١١)- المصدر السابق ، نفس الصفحة. وتركبي رابع ، الإمام ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ، ص٢٥٦.

وهو نفس المنهج الذي أنتهجه الإمام أبي بكر بن العربي في كتابه "العواصم من القواصم"، والذي تأثر به ابن باديس.

وهكذا يتضح لنا أن المنهج الذي يراه ابن باديس صالحاً للتربية والتعليم، هو بالرجوع إلى الطريقة النبوية وطريقة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، "أي بالرجوع إلى المنهج السلفي المنتشر في القرون الأولى للإسلام، المنهج الذي يدعو إلى التفقه في القرآن والسنة"<sup>(٤)</sup>، لذلك يدعو ابن باديس إلى الاستفادة بما جاء بهما من تعاليم الهيئة تحض علي طلب العلم والاهتمام بالعلماء، وبيان أهمية دورهما في المجتمع، وضرورة طلب العلم من الأمم المتقدمة. والاستفادة من الخبرات العلمية بتلك الدول. لقد حض الرسول ﷺ "علي طلب العلم ولو في الصين".

(٣) - دعا ابن باديس إلى الاستفادة من العلوم الحديثة، حتى يستطيع الدارس أن يستوعب علوم العصر وثقافته التقدمية ويناقش ويجادل ويتعود روح البحث العلمي، يقول في ذلك: "علينا أن نأخذ المدنية وثقافة العصر والتقدم ونجعلها تتمشي مع اللغة العربية"<sup>(١)</sup>.

(٤) - الاهتمام بالتلاميذ وتنشأته علمية وتربوية سليمة وصالحة لأنهم عدة المستقبل. ويقول موضحاً ذلك: "إن أبناءنا هم رجال المستقبل، وإهمالهم قضاء علي الأمة إذ يسوسها أمثالهم، ويحكم في مصائرهم أشباههم... ونحن ينبغي هنا أن نربي أبناءنا كما علمنا الإسلام، فإن قصرنا فلا نلومن إلا أنفسنا، ولكننا واثقين أننا نبني علي الماء ما لم نعد الأبناء بعدة الخلق الفاضل، والأدب الديني الصحيح"<sup>(٢)</sup>.

(٥) - الاهتمام في التعليم بالكيف وليس بكم المعلومات التي يتلقاها التلاميذ. مما دفع الإمام إلى أعداد طريقة مناسبة لتعليم النشء، وهذا ما أكدته لنا الشيخ البشير الإبراهيمي - رفيق ابن باديس - عندما وضع الطريقة التي اتفق فيها مع ابن باديس - عندما كان في المدينة المنورة في حج عام ١٩١٣م، والتي سببها العمل بها عند العودة إلى الجزائر في تعليم النشء، وسيكون التركيز فيها علي الكيف في التعليم لا علي الكم في المعلومات، ويقول: وكانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وأبن باديس في اجتماعنا في المدينة، في تربية النشء، هي إلا تتوسع له في العلم، وإنما نربيه علي فكرة صديحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"<sup>(٣)</sup>.

(٦) - التدرج في تعليم التلاميذ من البسيط إلي المركب. ولعل هذه الطريقة ترجع إلي تأثر الإمام ابن باديس "بمقننة ابن خلدون"، وخاصة إذا علمنا بأن المقننة كانت من ضمن المقررات الدراسية لتلاميذه، يقول ابن خلدون في ذلك: "أعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين يكون مفيداً لو تم ذلك بالتدرج شيئاً فشيئاً، وقليلًا قليلًا، فيلقى علي المتعلم مسائل من كل باب من الفن، هي أصول ذلك الباب"<sup>(١)</sup>، وهذا ما أنتهجه ابن باديس في طريقة تعليمه.

(٧) - عدم تحديد سنًا لالتحاق بالمدرسة وذلك لإعطاء من يريد أن يتعلم فرصة حتى وأن كان سنه تجاوز سن الالتحاق بالمدرسة. لذلك نجد ابن باديس لم يحدد سنًا معلومة لالتحاق الطلبة بالمدارس، فكان من بين متعلميه من تناهز أعمارهم الثلاثين سنة.<sup>(٢)</sup>

(٨) - الاهتمام بوضع مناهج جديدة للتعليم. وبناء علي ذلك، فالإمام ابن باديس يؤكد علي ضرورة أعداد مناهج مناسبة لتنشئة أجيال المستقبل وتربيتها التربية الصالحة، علي غرار تلك المناهج التي كانت سائدة لذلك نجده قد دعا في سبتمبر عام ١٩٣٧م، إلي عقد مؤتمر للمعلمين الأحرار في مدينة الجزائر. وكان الغرض هو التوصل إلي كيفية توحيد مناهج التعليم العربي

(١) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص ٧٥.

(٢) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج٤، ص ١٤٨-١٤٩.

(٣) - نقلاً: عن محمد الصالح الصديق، ابن باديس من أرائه ومواقفه، دار البحث للطباعة - قسنطينة، ١٩٨٣م، ص ٩٨-٩٩.

(٤) - أنظر: - محمود قاسم، الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ص ٢٧.

(٥) - ابن خلدون، المقدمة، دار الهلال - بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٣١. ومصطفى حميداتو، الإمام ابن باديس وجهوده التربوية، ص ١٣٦.

(٦) - محمد الصالح الصديق، ابن باديس من أرائه ومواقفه، ص ٥٦.

الحر. يقول: "سينعقد مؤتمر رجال التعليم العربي الحر تحت إشراف جمعية العلماء بنادي الترقى بالجزائر يومي الأربعاء والخميس ، الثاني والعشرين والثالث والعشرين من شهر سبتمبر الجاري ، لتبادل الآراء فيما يهم التعليم العربي الحر ومدارسه ومساجده ونظمه وأساليبه والغاية المنشودة من ذلك ، هي التوصل إلي توحيد مناهج التعليم العربي ، فعلي إخواننا الأساتذة القائمين بهذا النوع من التعليم ، أن يحرصوا كل الحرص علي مشاهدة هذا المؤتمر"<sup>(٢)</sup>. وكانت المسائل المقترحة للنقاش في هذا المؤتمر هي: - وسائل توحيد التعليم، وأسلوب التعليم، وأسلوب تربية الناشئة، وخلاصة تجاربهم في التربية والتعليم، والكتب وهل الأحسن اختيار كتب مصرية أو تأليف كتب تتفق مع الروح الجزائرية ، وآرائهم في تعليم البنات المسلمة ووسائل تحقيقه، والتعليم المسجدي ووسائل تنظيمه وترقيته ، وآرائهم في الوسيلة التي نعيد بها للمرأة المسلمة سيرة سلفها من تلقي العلوم... وتقارير مفصلة عن درجة إقبال الأمة علي التعليم بالمقارنة بالفترة السابقة "كل في جهته"<sup>(٣)</sup>.

٩- التركيز علي الأطفال والاهتمام بتعليمهم مع عدم إهمال تعليم الكهول. وقد بدأ ابن باديس أولي خطواته العملية منذ أن عاد من تونس إلي قسنطينة عام ١٩١٣م، في تنفيذ خطته الإصلاحية ، فبدأ يركز علي تعليم الأطفال معلقاً عليهم الأمل والرجاء والمستقبل ، في النهوض بالمجتمع الجزائري يقول د- محمود قاسم: "وكان يبدأ دروسه من بعد صلاة الفجر، ويظل طيلة نهاره يعلم الأطفال الدين وعلوم العربية متدرجاً معهم حسب مستوياتهم المختلفة ، وكان بمثابة أستاذ وحيد ينهض بععبء التدريس في مدارس مختلفة تنتقل إليه بدلاً من أن ينتقل إليها، ثم إنه كان لا يقطع علمه إلا لساعة بعد صلاة الظهر يتناول فيها قليلاً من الطعام ، ثم يستأنف عمله حتى صلاة العصر، ثم صلاة المغرب والعشاء ، غير أن علمه ما كان ينتهي عند هذا الحد ؛ إذا كان يستأنف التدريس لكهول قسنطينة وشيوخها من التاسعة مساء حتى منتصف الليل يفسر لهم القرآن الكريم في الجامع الأخضر"<sup>(٤)</sup>.

نستنتج من هذا ، أن ابن باديس كان يقوم بهذا العمل التربوي التعليمي بنفسه لجيلين: - جيل الصغار، فيعلمهم مبادئ اللغة العربية والدين ، وجيل الكبار، ويعلمهم القرآن الكريم وتفسيره وتجويده . كما أن الإمام ابن باديس قد ذكر لنا تاريخ ابتدائه التدريس في "الجامع الأخضر" بقسنطينة ، إذ يقول: "أما تعليمي فيه فكان في عام ١٣٣٢ هـ ، وكان ذلك بسعي من سيدي أبي لدي الحكومة ، فأذنت لي بالتعليم فيه بعدما كانت منعني من التعليم بالجامع الكبير، بسعي المفتي في ذلك الوقت الشيخ "المولود بن موهوب" وقد يسر الله لنا بفضلته التعليم فيه إلي اليوم ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م" والله نسأل أن يجازي كل من أعاننا فيما قمنا به من خير، وأن يسير لنا القيام بخدمة العلم فيما بقي من العمر"<sup>(٥)</sup>.

من هنا نفهم أن ابن باديس قد واجه بعض الصعوبات في نشاطه التعليمي، خاصة من قبل مفتي الجزائر الرسمي في ذلك الوقت ، الشيخ "المولود بن موهوب"، فمنعه من مواصلة تعليم الطلاب في الجامع الكبير، ولكنه عاد إلي موصلة التدريس في الجامع الأخضر بعد أن سعي له أبوه.

١٠- الاهتمام بمحتوي المناهج "أي المواد" التي تدرس والعمل علي تطويرها باستمرار، وهذا ما سار عليه ابن باديس في تعليم تلاميذه. لذلك نجد أنها تشمل علي "الدروس التفسير للكتاب الحكيم وتجويده ، وعلي الحديث الشريف ، وعلي الفقه في المختصر وغيره ، وعلي العقائد الدينية ، وعلي الآداب والأخلاق الإسلامية، وعلي العربية بفنونها "نحو ، صرف ، بيان ، ولغة وأدب" و الفنون العقلية كالمنطق والحساب وغيرهما"<sup>(٦)</sup>. أما التفسير، فقد أهتم بتفسير كتاب الله ، وأما

(٢)- ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، ٤ ، ص ١٢١.

(٣)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ٤ ، ص ١٢١-١٢٢.

(٤)- محمود قاسم ، الإمام عبد الحميد ابن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية ، ص ١٧.

(٥)- ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ٤ ، ص ٤٧٩.

(٦)- ابن باديس ، آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس ، ٤ ، ص ٦٨.

الحديث فمن "موطأ الإمام مالك"، والفقه من "أقرب المسالك"، و"رسالة ابن عاشر"، في الفقه، والعربية من "قطر الندى"، والشعر من "ديوان الحماسة وديوان المتنبي"، إضافة إلى تدريس "مقدمة ابن خلدون" وتعليم الطلبة بعض الصنائع اليدوية<sup>(١)</sup>.

هذا بالإضافة إلى أنه - كما يقول أحد الدارسين - كان دائم التنقيح والتعديل لهذه المواد في كل عام دراسي جديد تقريباً، فقد أضيفت عدة مواد جديدة للمواد القديمة التي سبق ذكرها، وهذه المواد الجديدة هي: - الفرائض - الجغرافيا - التاريخ - أصول الفقه - المواعظ.

(١١) - أن التعليم الذي كان يقوم به ابن باديس - كما تقدم - ينقسم إلى قسمين: - أولاً: تعليم ديني لغوى مسجدي<sup>(٢)</sup>. يشبه إلى حد كبير التعليم بالمعاهد الإسلامية الكبرى كالأزهر بمصر، والزيتونة بتونس، والقروية بالمغرب". ثانياً: تعليم مدرسي حديث يشبه إلى حد كبير التعليم في المدارس الحديثة في العشرينات والثلاثينات في بعض الدول العربية<sup>(٣)</sup>.

(١٢) - عزز ابن باديس دور المساجد في التعليم. فمن المعروف أن ابن باديس كان يدرك تماماً الدور الرائد للمساجد في مجال التعليم، فيقول: "المسجد والتعليم صنوان في الإسلام، من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النبي ﷺ يوم استقر في دار الإسلام بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه، ويجلس لتعليم أصحابه، فارتبط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة"<sup>(٤)</sup>.

كما أنه يبرز الدور الإيجابي الذي تؤديه المساجد في تعليم وتنقيف العامة، حيث يقول: "إذا كانت المساجد معمورة بدروس العلم، فإن العامة التي تنتاب تلك المساجد تكون من العلم على حظ وافر، وتتكون منها طبقة مثقفة الفكر، صحيحة العقيدة، بصيرة بالدين، فتكمل هي في نفوسها، ولا تهمل. وقد عرفت العلم وذاقت حلاوته - تعليم أبنائها، وهكذا ينتشر التعليم في الأمة، ويكثر طلابه من أبنائها... أما إذا خلت المساجد من الدروس، كما هو حالنا اليوم في الغالب - فإن العامة تعمي عن العلم والدين وتنقطع علاقتها به، وتبرد حرارة شوقها إليه.... وتمسي والدين فيها غريب"<sup>(٥)</sup>. ومن المساجد التي كان ابن باديس يلقي فيها دروسه العلمية والتي تعتبر من أهم مؤسساته التربوية، وهي: الجامع الأخضر - كما تقدم - والذي يعتبر أحد الجوامع الثلاث الجمعية الباقية بعد الاحتلال الفرنسي بقسنطينة<sup>(٦)</sup>، والذي أصبح مؤسسة تعليمية، فالطالب عندما يلتحق به يجد نفسه في مؤسسة تربوية تحرص عليه "علمياً وأخلاقياً واجتماعياً ومادياً حرص والديه وأكثر"<sup>(٧)</sup>، وكان يضم هذا المسجد العديد من الطلبة من مختلف أنحاء القطر الجزائري. وقد قدر الإمام ابن باديس عدد الحاضرين في دروسه الليلية بالجامع الأخضر بألفي "٢٠٠٠"، شخص، وكذلك لما زاد عدد الطلبة، جعل مسجدي "سيدي قموش" ومسجد

(١) - المصدر السابق، ص ١٠٠. ومصطفى حميداتو، الإمام ابن باديس وجهوده التربوية، ص ١٣٧-١٣٨.

(٢) - كما هو معلوم أن السلطات الاستعمارية الفرنسية منذ احتلالها للجزائر سنة ١٨٣٠م، عملت على القضاء على الدين الإسلامي، من خلال هدم المساجد وتحويلها إلى كنائس ومتاحف، ومصادرة الأوقاف الإسلامية، التي كانت تقوم برعاية شؤون المساجد، والتعليم الديني، فمثلاً: كان في مدينة "الجزائر" وحدها، يوم أن وطأتها أقدام الغزاة الصليبيين سنة ١٨٣٠م، مائة وستة مساجد، وعندما حرر المسلمون الجزائريون بلادهم سنة ١٩١١م، لم يكن في العاصمة أكثر من ثمانية مساجد فقط، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى سائر المساجد المنتشرة في جميع أنحاء القطر الجزائري. ومن المساجد التي تم تحويلها إلى كنائس "مسجد ككتشاو" في "الجزائر" العاصمة الذي تم تحويله إلى كنيسة عرفت باسم: "كنيسة سان قليليب". أنظر: - بسم العسيلي، عبد الحميد ابن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس - الجزائر، "د - ت"، ص ٣٢٩-٣٣٠. وتركى رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية ١٩٣١-١٩٥٦م، الشركة الوطنية للنشر - الجزائر، ١٩٧٥م، ص ٩٣-٩٤.

(٣) - تركي رابح، الإمام ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص ٢٥٨.

(٤) - ابن باديس، آثار الإمام ابن باديس، ج ٤، ص ٩٤.

(٥) - المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٢. وكان هذا الكلام - كما يقول ابن باديس عام ١٩٣٠م.

(٦) - المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٨.

(٧) - مازن مطبقاتي، ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ص ٥٣.



"بو معز" فرعين تابعين للجامع "الأخضر"<sup>(٥)</sup>. هذا بالإضافة إلى مسجد "عبد المؤمن"، والجامع "الكبير" بقسنطينة، وجامع الجديد "بباب البحر" بالعاصمة المجاور للجامع الكبير<sup>(٦)</sup>.  
والحق إن هناك العديد من المساجد التي كانت تحت رعاية جمعية العلماء، برئاسة الإمام عبد الحميد بن باديس، غير أن المجال هنا لا يتسع لذكرها جميعا، وإنما اكتفينا بذكر ما اشتهر منها، خشية الإطالة، والمساجد بالأمس تشبه ما تكون بجامعات اليوم: يقدم المسكن والمأوى، والطعام والدواء، والرعاية الاجتماعية، والنفسية لطلابها.

١٣- كان التعليم المدرسي ممزوجاً بصيغة دينية - لغوية، وهذا النوع من التعليم كان يتعلمه الأطفال الصغار في مدرسة التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة وفروعها. وقد كان يقبل علي هذا التعليم المدرسي نوعان من الأطفال: النوع الأول: هم الأطفال الذين يتابعون تعليمهم اليومي في المدارس الفرنسية، ثم يأتون إلي الإمام ابن باديس ليتعلموا مبادئ اللغة العربية والدين. أما النوع الثاني: وهم الأطفال الذين لا يذهبون إلي المدارس الفرنسية "أي المحرومون من التعليم فيها"، فيتابعون تعليمهم كاملاً علي يد الإمام ابن باديس، ويتناولون معظم المواد التي يدرسها زملاؤهم بالفرنسية في المدارس التابعة لحكومة الجزائر، ولكن باللغة العربية مع تغليب الجانب اللغوي الديني علي غيره من الجوانب الأخرى.<sup>(٧)</sup>

هذا وقد كان التعليم في تلك الفترة، وقبل أن يتجه الإمام ابن باديس إلي إنشاء مدارس تأخذ الشكل العصري كان قد أخذ طابع الكتاب "المسيد" حيث كان الطالب يجلس علي الأرض ويكتب مستنداً علي ركبته<sup>(٨)</sup>.

ومن الملاحظ، إن الإمام ابن باديس قد أهتم بالتعليم المسجدي، تاركا لتلامذته الذين تخرجوا عليه أو الذين يتخرجوا من جامع الزيتونة التدريس لتعليم المدرسي الابتدائي للأطفال الصغار، واحتفظ لنفسه بالإشراف والتوجيه العام فقط<sup>(٩)</sup>.

وقد أهتم ابن باديس بالمدرسة، باعتبارها الأداة الملائمة والفعالة لانتشال الأمة من وهدة الجهل والتبعية وكانت المدارس التي أنشأها الإمام وزملاؤه وتلاميذه قد بلغ عددها حتى عام ١٩٥٤م، مائة وخمسين مدرسة، في جميع أنحاء القطر الجزائري، يتعلم فيها أكثر من خمسين ألف من أبناء الشعب الجزائري "بنين وبنات"<sup>(١٠)</sup>. وكانت الطريقة المتبعة في تلك المدارس "تتضمن علي حفظ آيات من القرآن الكريم، والتاريخ الإسلامي، ومبادئ الحساب، بالإضافة إلي الكتب المدرسية التي كانت مقررة في مصر في ذلك الوقت مثل كتب النحو الواضح والقراءة الرشيدة وغير ذلك"<sup>(١١)</sup>. ومن المدارس التي أسسها الإمام ابن باديس أو ساهم في نشاطها، نذكر منها: - مدرسة جمعية التربية والتعليم بـ"قسنطينة"، ومدرسة دار الحديث بـ"تلمسان"، والمدرسة الموقفية، ومدرسة التعليم والتربية بـ"بسكرة" وغيرها.

١٤- قد أولى ابن باديس اهتماماً كبيراً لتعليم المرأة المسلمة، مدركاً للخطر المحدق بالأمة إذا تركت المرأة بغير علم. لذلك نجده قد نظر إلي تعليمها نظرة الدين الإسلامي إليها وإلى وظيفتها في المجتمع ودورها في الحياة، فهو يعتبر تعليمها حقاً واجباً لها لأن "النساء شقائق الرجال في التكليف، فمن الواجب تعليمهن وتعلمهن، وقد علمهن ﷺ"، وأقرهن علي طلب التعلم"<sup>(١٢)</sup>.

(٥) عبد الكريم أبو صفصاف، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر، ٢٠٠٧م، ج١، ص٤٠٣.

(٦) عبد الكريم أبو صفصاف، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، ج١، ص٤٠٢-٤٠٤.

(٧) تركي رايح، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٨) أشرف أبو العز، ابن باديس وأراؤه الكلامية والأخلاقية، رسالة ماجستير - جامعة القاهرة، ١٩٩٤م، ص٥٧.

(٩) تركي رايح، ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، ص٢٥٩.

(١٠) عبد الكريم أبو صفصاف، حركة محمد عبده وعبد الحميد بن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، ج١، ص٤٠٤.

(١١) أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر، ١٩٨٥م، ص١٣٩.

(١٢) ابن باديس، مجلس التنكير من حديث البشير النذير، ص١٥٨.

فالمراة هي التي تربي الأطفال الذين هم رجال المستقبل فلا بد من الاهتمام بتعليمها وتنقيتها حتى تكون أم صالحة ومتعلمة ويشب أولادها متعلمون وصالحون.

إن ابن باديس يؤكد على ضرورة تعليم المرأة ، وتوفير المكان المناسب لهن دون الاختلاط بالذكور . معطياً بذلك روحاً جديداً للتعليم في الجزائر لم يكن معهوداً فيها من قبل ، ذلك لأن المجتمع لا ينهض إلا بالجنسين الرجل والمرأة ، مثل الطائر لا يطير إلا بجناحيه<sup>(٤)</sup> . فإلى جانب وظيفة المرأة في الحياة : النسل وتربية الأبناء والقيام بشؤون البيت ، فقد حرص على ضرورة تعليمها ، مثلها مثل الرجل . والسبب في ذلك ، أن المجتمع الجزائري في عصره كان يعاني من شتى أشكال التخلف والجهل والأمية . يقول ابن باديس : "فالجهالة التي فيها نساؤنا اليوم ، هي جهالة عمياء ، وأن على أوليائهن المسؤولين عنهن أثماً كبيراً فيما هن فيه ، وأن أهل العلم والإرث النبوي مسئولون عن الأمة رجالها ونساؤها ، فعليهم أن يقوموا بهذا الواجب العظيم في حق النساء ، بتعليمهن خلف صفوف الرجال ، أو في يوم خاص بهن ، اقتداء بالمعلم الأعظم "ﷺ"<sup>(٥)</sup> .

وهكذا ، يؤكد ابن باديس على ضرورة تعليم المرأة ، شريطة أن يكون ذلك في نطاق المثل والأخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة ، شأنها في ذلك شأن الرجل ، وهذا ما نفذه ابن باديس منذ اللحظة الأولى التي انتصب فيها للتدريس والتعليم . يقول : "فإننا - والحمد لله - نربي تلامذتنا على القرآن من أول يوم ونوجه نفوسهم إلى القرآن في كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال القرنين تعلق هذه الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلقى جهودنا وجهودها ، وأن أعز ما وصلنا إليه هو تبين الغاية وتلاقي الجهود"<sup>(٦)</sup> .

(١٥) - كان لابن باديس أمنية عالية هي تكوين كلية للعلوم الإسلامية ، لمن يريد التخصص في العلوم الدينية من الطلاب ، وقد ردد هذه الأمنية كثيراً في محاضراته وكتاباته في الجزائر ، كما حث جمعية العلماء على العمل على تنفيذها<sup>(٧)</sup> . يقول ابن باديس : "لا بد للجزائر من كلية دينية يتخرج منها رجال فقهاء في الدين ، يعلمون الأمة أمر دينها .."<sup>(٨)</sup> ، وكانت النواة الأولى لهذا المشروع العظيم - في نظره - هم الطلبة الذين قدموا من العملات الثلاثة "قسنطينة - الجزائر - وهران" ، إلى الجامع الأخضر بقسنطينة للتعليم "فتم بهم تمثيل الطلبة للجزائر كلها"<sup>(٩)</sup> . وتكون الكلية تحت إشراف جمعية العلماء ، تنظمها وتسيرها ، وتقوم بإعطاء الشهادات القانونية لطلابها ، وتخصيص الوظائف الدينية في المساجد الجزائرية للمخرجين منها<sup>(١٠)</sup> ، وأن كان الأمل لم يتحقق في عهده .

(١٦) - شملت جهود ابن باديس لإصلاح التعليم المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا ، وذلك عندما قام الإمام بإرسال بعض تلاميذه النابهين ومن بينهم الشيخ "الفضيل الورتلاني" و"حمزة بوكوشة" وغيرهما ، وتم بالفعل إنشاء المدارس والنوادي في بعض المدن الفرنسية ، لتعليم اللغة العربية ومبادئ الإصلاح ، ولقيت المحاضرات الدينية والاجتماعية والتوجيهية ، وكان الغرض هو الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية للجزائريين<sup>(١١)</sup> . ولقيت هذه الجهود المخلصة نجاحاً منقطع النظير ، كما يصور ذلك ابن باديس ، بقوله : "الشعب الجزائري شعب مسلم ، طبعه الإسلام على تعظيم العلم ، وحب التعلم ، واحترام المتعلمين - فلما دبّت فيه الحياة وهبّ للنهوض ، اندفع للتعلم اندفاعاً أدهش قوماً وحير آخرين . انتبه هذا الشعب العربي المسلم على صدمات الحوادث ، وعلى صوت الدعاة بالقرآن الذين هزّت دعوتهم النفوس هزاً ، وأحيا الله بها البلد الميت ففتح

(٤) - ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص ١٦ .

(٥) - ابن باديس ، مجالس التذكير من حديث البشير النذير ، ص ١٥٨ .

(٦) - ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج١ ، ص ٤٧٦-٤٧٧ .

(٧) - المصدر السابق ، ج٤ ، ص ٨٢-٩٧ .

(٨) - المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٩) - المصدر السابق ، ص ٨٢ .

(١٠) - المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(١١) - انظر : عبد الكريم أبو صفصاف ، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية ، ج١ ، ص ٤٢٧٠-٤٣١ .

عيونهم لتري النور .. فقدم له علماءه المصلحون قنباً من نور الإيمان الذي هو في حنايا ضلوعه لينير له الوجود ، ومدوا له حبل الإسلام الذي هو مرتبط بقلبه ليصعد في مراقي الحياة ويطلع إلي صرح المجد والسعادة التي خلق لها الإنسان من حيث أنه إنسان".<sup>(١)</sup> من هنا يتضح لنا كيف يربط ابن باديس دوماً بين جهوده التعليمية، وخط مسيرته الأساسي في الدعوة إلى الإصلاح الإسلامي للفكر والسلوك.

وأخيراً ، يمكن لنا القول أن الدروس التي كان ابن باديس يلقيها ، تتمحور في دعوة الناس للرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله "ﷺ" والأخذ بأسباب الحياة ، يقول ابن باديس : "ما كنت أدعوه في جميع مجالسي إلا لتوحيد الله ، والتفقه في الدين ، والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ، ورفع الأمية ، والجذ في أسباب الحياة من فلاحه وتجارة وصناعة ، وإلي اعتبار الأخوة الإسلامية فوق كل مذهب وطريقة وجنس وبلد ، وإلي حسن المعاملة ، والبعد عن الظلم والخيانة مع المسلم وغير المسلم"<sup>(٢)</sup>. وهذا الكلام أن دل علي شيء فإنما يدل علي وعي الإمام ابن باديس ونظرته الثاقبة ، في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها الجزائر -- وكما تقدم معنا -- فقد واجهت نهضته الإصلاحية العلمية المباركة عراقيل وضعتها السلطات الفرنسية في طريقها ، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تمضي ثابتة الخطوات مصممة علي التقدم يوماً بعد يوم .. حتى استطاعت أن تخلق أجيال تنهض بالمجتمع الجزائري ، وتحرره من الاحتلال الفرنسي .

### الخاتمة

بعد دراسة "جهود الإمام عبد الحميد ابن باديس في الإصلاح التربوي والتعليمي"، نتوصل إلي النتائج التالية:

- (١) - وضع الإمام ابن باديس إصلاح التعليم هدفاً للنهوض بالجزائر .
- (٢) - لقد استطاع ابن باديس من خلال جهوده في الإصلاح التربوي والتعليمي من مواجهة المخططات الاستعمارية الفرنسية التي تهدف إلي القضاء علي اللغة العربية والدين الإسلامي وتحويل الجزائر إلي مقاطعة فرنسية.
- (٣) - كان لابن باديس منهجه الخاص في إصلاح التعليم ، فعرض أولاً المساوي والأخطاء التي كانت تشوب التعليم ، وقدم انتقادات لمعرفة الداء وتشخيصه حتي يتمكن من وصف الدواء :-  
أ - إن المعلومات التي كانت تقدم للطلبة غير كافية ، ولم يدرسوا القرآن والسنة الشريفة دراسة وافية، ولم يتفقهوا في الدين .  
ب - أن طرق التدريس المتبعة في المؤسسات الدينية العريقة كانت تعتمد علي أسلوب واحد وهو الجدل والخلافات المذهبية في تفسير القرآن .  
ج - أن طرق التدريس كانت تعتمد علي الجانب اللفظي دون الاهتمام بلب العلم والثقافة.  
د - أن الطرق المتبعة لتدريس مادة الفقه الإسلامي كانت تعتمد بشكل أساسي علي الفروع المقطوعة عن أصولها، والإعراض عن الاستدلال والتعليل والقياس والنظر.  
هـ - إن أساليب التعليم المتبعة آنذاك بعيدة عن ما هو معروف في تاريخ التربية الإسلامية.
- (٤) - أن الحلول التي قدمها ابن باديس في إصلاح وتطوير مناهج التعليم وطرق التدريس السائدة في تلك المعاهد الإسلامية الكبرى كانت موفقة، وذلك من خلال تقسيم مراحل الدراسة فيها وتأكيد علي ضرورة الاهتمام بالمعلم الصالح القوي في دينه وتكوينه ، لأن إنجاز العملية التربوية ، يتوقف إلي حد كبير علي وجود المربي الكفء.

- (٥) - وضع ابن باديس لإصلاح التعليم البرامج الواضحة والمحددة والتي تتلخص فيما يأتي:-  
١ - عمل الإمام منذ أن بدأت حركته الإصلاحية التعليمية عام ١٩١٣م، علي نقل التراث الإسلامي إلي الأجيال الصاعدة من أبنائه.

(٢) - ابن باديس ، آثار الإمام ابن باديس ، ج٤ ، ص ١٤٠.

(٣) - المصدر السابق ، ص ٢٢٥.

- ٢- دعا ابن باديس إلى الاستفادة من العلوم الحديثة.
- ٣- الاهتمام بالتلاميذ وتنشأتهم تنشأة علمية وتربوية سليمة وصالحة لأنهم عدة المستقبل.
- ٤- الاهتمام في التعليم بالكيف وليس بكم المعلومات التي يتلقاها التلاميذ .
- ٥- التدرج في تعليم التلاميذ من البسيط إلى المركب.
- ٦- عدم تحديد سنا لالتحاق بالمدرسة وذلك لإعطاء من يريد أن يتعلم فرصة التعليم.
- ٧- التركيز علي الأطفال والاهتمام بتعليمهم مع عدم إهمال تعليم الكهول .
- ٨- الاهتمام بوضع مناهج جديدة للتعليم .
- ٩- الاهتمام بمحتوي المناهج "أي المواد" التي تدرس والعمل علي تطويرها باستمرار.
- ١٠- عزز ابن باديس دور المساجد في التعليم.
- ١١- أولى ابن باديس اهتماماً كبيراً لتعليم المرأة المسلمة.
- ١٢- شملت جهود ابن باديس لإصلاح التعليم المهاجرين الجزائريين إلى فرنسا.
- ٦- أن مجهودات الإمام شكلت مواجهة ناجحة ضد الغزو الثقافي ومحاولة التغريب والتشويه أو بتعبير آخر ، أن إيمان ابن باديس بأهمية نشر القرآن وتعليم الفضائل وأصول الدين عن طريق تربية الكبار والصغار تربية إسلامية شاملة هو من أجل تحصين المجتمع الجزائري المسلم ضد الخرافات والشعوذة والطرقية ، وضد التغريب والفرنسة الرامية إلى تذويب شخصية الشعب الجزائري بمقوماته الأساسية.
- ٧- كان من أسباب نجاح حركة ابن باديس ، هو أنه سلك مسلكاً عملياً بعيداً عن المهاترات الحزبية التي كان المستعمر يحرك خيوطها، تبعاً لمصالحه في البلاد، فكان صمام أمن لحالة السخط التي عمت الجزائر بسبب الحرمان الاقتصادي والاجتماعي ، ذلك الحرمان الذي كان ينفذ وفقاً لخطة محددة مرسومة ... منذ عصر مبكر.
- ٨- أن منهج الإمام في الإصلاح والتربية لم يتراجع تحت ضغط المضايقات الاستعمارية التي لم تزده إلا قوة وتصميم لما يدعو إليه من حق وعدل وخير ولا تزيد من يزرعون الباطل والجور والشر والإساءة من الوشاة إلا اندحاراً وانكساراً.
- ٩- أن جهود ابن باديس الإصلاحية في جميع المجالات بوجه عام وفي التعليم بوجه خاص قد أثمرت وأنت أكلها حتى بعد وفاته.

## المصادر والمراجع

## أولاً:- القرآن الكريم :-

المصحف الشريف برؤية حفص عن عاصم ، دار التراث للطباعة \_ طنطا.

## ثانياً: المصادر والمراجع:-

- ١- الإبراهيمي "الشيخ محمد البشير"، آثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب\_ الجزائر، ١٩٨٥م.
- ٢- ابن باديس حياته وآثاره ، إعداد: د. عمار طالبي، دار اليقظة العربية للتأليف\_ الجزائر ، ١٩٨٦ م.
- ٣- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين ومحمد الصالح رمضان، دار الكتب العلمية\_ بيروت ، ط٢٠٠٣م.
- ٤- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية \_ الجزائر ، ٢٠٠٥م.
- ٥- ابن باديس "الشيخ عبد الحميد"، آثار الإمام ابن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية\_ الجزائر ، ٢٠٠٥م.
- ٦- ابن خلدون "عبد الرحمن" ، المقامة ، دار الهلال - بيروت ، ١٩٩٦م.
- ٧- أبو العز "الأستاذ أشرف" ، ابن باديس وأراؤه الكلامية والأخلاقية ، رسالة ماجستير \_ جامعة القاهرة ١٩٩٤م.
- ٨- أبو صفاف "د عبد الكريم" ، حركة محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس وأبعادها الثقافية والاجتماعية والسياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب \_ مصر ، ٢٠٠٧ م.
- ٩- حميدانو "د مصطفى محمد" ، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية \_ الدوحة ، ١٩٩٧م.
- ١٠- الخطيب "أحمد"، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب \_ الجزائر ، ١٩٨٥م.
- ١١- رابح "د تركي" ، التعليم القومي والشخصية الوطنية "١٩٣١- ١٩٥٦م"، الشركة الوطنية للنشر - الجزائر، ١٩٧٥م.
- ١٢- رابح "د تركي"، الإمام عبد الحميد ابن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، رسالة ماجستير \_ جامعة عين شمس ، ١٩٦٩م.
- ١٣- الزركلي "خير الدين" ، الأعلام ، دار العلم للملايين \_ بيروت ، مج ٣ ، ط٩ ، ١٩٩٠م.
- ١٤- الصديق "محمد الصالح" ، الجزائر بين الماضي والحاضر، الدار القومية - القاهرة ، ١٩٦٠م.
- ١٥- الصديق "محمد الصالح" ، ابن باديس من آرائه ومواقفه ، دار البحث للطباعة - قسنطينة ، ١٩٨٣م.
- ١٦- عباس "فرحات" ، حرب الجزائر وثورتها "ليل الاستعمار" ، تغريب أبو بكر رحال ، مطبعة المحمدية \_ المغرب ، "د - ت".
- ١٧- عبد الرحمن "الأستاذ حسن" ، عبد الحميد ابن باديس مفسراً ، رسالة ماجستير \_ جامعة عين الشمس ، ١٩٧٩م.
- ١٨- عثمان "د فتحي" ، ابن باديس رائد الحركة الإسلامية في الجزائر المعاصرة ، دار القلم \_ الكويت ، ١٩٨٧م.
- ١٩- العسيلي "بسام" ، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، دار النفائس \_ الجزائر ، "د - ت".
- ٢٠- قاسم "د محمود" ، الإمام عبد الحميد بن باديس الزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، دار المعارف \_ مصر ، "د - ت".
- ٢١- مطبقاتي "مازن صلاح" ، عبد الحميد ابن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي ، دار القلم \_ دمشق ، ط٢ ، ١٩٩٩م.
- ٢٢- معمر "د إبراهيم عبد الله" ، منهج التجديد في الفكر الإسلامي بين ابن باديس وابن عاشور ، رسالة دكتوراه \_ جامعة القاهرة ، ٢٠٠٦م.
- ٢٣- الملي "محمد" وشریط "عبد الله" ، الجزائر في مرآة التاريخ، قسنطينة، ١٩٦٥م.

